AL YASINI: Jurnal Keislaman, Sosial, Hukum dan Pendidikan
Ter-akreditasi Kemenristekdikti No.36/E/KPT/2019, ISSN: 25276603 (e), 25273175 (p)
http://ejournal.kopertais4.or.id/tapalkuda/index.php/alyasini/

Vol. 06 No. 02
NOPEMBER 2021

# ALTAFSIR AL'IISHARIU EIND IBNU KATHIR

# (التفسير الإشاري عند ابن كثير رحمه الله)

Bakri Muhammad Bakhit

(بكري محمد بخيت)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان

bakribkheet@gmail.com

**Abstract:** *Tafsir (interpretation) becomes famous and classified according to what prevailed in terms of interpretation type. Ibn Kathier's interpretation is one of the interpretations that depended on statements, but despite this, this book is not devoid of interpretation by opinion, such as indicative interpretation. Therefore, it is important for me to write about this subject with the aim of serving and introducing this interpretation, particularly in this aspect that was not mentioned by the predecessors, and also with the aim of explaining the acceptable type of the indicative interpretation. The reason for choosing this topic is that I did not find anyone who addressed this topic in his definition of this interpretation, as well as my desire to explain Ibn Kathier's approach, which he adopted it with acceptable Taweel (paraphrasing) and rejected every paraphrasing far from the meaning of the verse. In writing the material for this research, I adopted the inductive and descriptive approaches, dividing its material into two sections. In the first one, I mentioned his replies on the paraphrased interpretations. I concluded to the most important results: namely, his adoption of the indicative interpretation indicates that Ibn Katheer - May God have mercy on him – worked diligently to figure out the meanings of the verses for every righteous path. The second section, in which he adopted the indicative interpretation, gives a model of acceptable interpretation. His rejection of some paraphrased interpretations of the predecessors, indicated his mastering of the subject and his broad knowledge, and that he was visionary critic and did not only dealt with transmission. This approach gives his interpretation great scholarly value.*

**Keywords** : *Ibn Kathier's, Taweel, interpretation*

## المستخلص

يشتهر التفسير ويصنف بحسب ما غلب عليه من لون التفسير ، وتفسير ابن كثير من التفاسير التي غلب فيها التفسير بالمأثور، ولكن مع هذا لم يخل هذا السفر من التفسير بالرأي، ومنه التفسير الإشاري .لذا كان مهماً أن أكتب في هذا الموضوع بهدف خدمة هذا التفسير والتعريف به ، خاصة في هذا الجانب الذي لم يتطرق له من سبق ، وكذلك بهدف بيان اللون المقبول من التفسير الإشاري. وسبب اختياري لهذا الموضوع لم أجد من تناول هذا الموضوع في تعريفه بهذا التفسير ، وكذلك رغبة في بيان منهج ابن كثير في أخذه بالتأويل المقبول ورده لكل تأويل بعيد عن معنى الآية .واتبعت في كتابة مادة هذا البحث المنهج الاستقرائي ثم الوصفي . مقسماً مادته في مبحثين ، وختمت بذكر أهم النتائج والتي منها أخذه رحمه الله بالتفسير الإشاري يدل على اجتهاده في بيان معاني الآيات بكل سبيل صحيح. والمواضع التي أخذ فيها رحمه الله بالتفسير الإشاري تعطي نموذجاً للتفسير المقبول. ورده رحمه الله لبعض تأويلات من سبقه تدل على تمكنه وسعة اطلاعه ، وأنه كان ناقداً بصيراً ولم يكتف بالنقل فقط. وهذا النهج يعطي تفسيره قيمة علمية كبيرة.

مقدمة :

تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله من التفاسير التي لاقت قبولاً طيباً، لما تميز به من الضبط والسهولة ووضوح المعاني والاعتماد على التفسير بالمأثور من القرآن الكريم وأقوال النبي صلوات الله وسلامه عليه ،ثم أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، ومع ذلك لم يخل هذا التفسير من الأخذ بالرأي والاجتهاد ، فالغالب الذي وصف به هذا التفسير أنه من التفسير بالمأثور ، وما جاء فيه من الأنواع الأخرى فهو قليل .

وفي هذا البحث وخدمة لهذا السفر العظيم وبياناً لجانب من جوانبه أحببت أن أكتب عن ما جاء فيه من التفسير الإشاري ،وكذلك رده للتأويلات البعيدة التي لا تحتملها الآية ، وهذا أسلوب علمي مهم في إحقاق الحق فيما صح فيه المعنى ورد كل ما يخالفه .والسبب الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو أنني بعد اطلاعي على التعريف بهذا التفسير ضمن كتب التفسير بالمأثور والتي أفاض الكلام فيها الذهبي في كتابه القيم التفسير والمفسرون ، وقد تناول كل ما ورد فيها من المزايا والعيوب .لكن لم أجده قد أشار لهذا الجانب من هذا التفسير وهي وإن كانت مواضع قليلة لكنها تحمل معان عظيمة في خدمة بيان معاني كلام الله تعالى بمختلف الطرق التي توصل المعنى، لذا تعد الكتابة في الموضوع أمراً مهماً لأن فيها استكمالاً للجوانب التي تكلم عنها العلماء من قبل فالبحث هو إضافة لشيء جديد في التعريف بهذا التفسير وبيان اجتهاد مؤلفه في توضيح معاني الآيات. وهدفي من الكتابة في هذا الموضوع خدمة هذا التفسير وبيان التفسير الإشاري المقبول الذي أخذ به علماء السلف ومنهم ابن كثير رحمه الله ،وكذلك نهجهم في رد التأويلات الضعيفة والبعيدة عن معنى الآية ، والتي لا تستند على حجة قوية من عقل أو نقل . وسلكت في كتابتي المنهج الاستقرائي ثم الوصفي لبيان ما وقع في التفسير من التفسير الإشاري ، وقد قسمت مادته لمبحثين بها عدد من المطالب تناولت في الأول المواضع التي أخذ فيها الإمام ابن كثير بالتفسير الإشاري مع بيان من وافقه ومن خالفه من المفسرين ، وتحدثت في المبحث الثاني عن المواضع التي رد فيها التأويلات البعيدة التي لا يحتملها معنى الآية ، وختمت بذكر أهم النتائج . ومنها أن الإمام ابن كثير رحمه الله مع ما اشتهر به من الأخذ بالمأثور حتى غلب على تفسيره إلا أنه أخذ أيضاً في مواضع بالتفسير بالرأي ومنه الإشاري المقبول الذي يحتمله المعنى ولا يصادم قاعدة في الدين ، ومن النتائج أيضاً اهتمامه رحمه الله بالرد على من أول تأويلاً بعيداً لم يكن له سند ، أو عارض ما صح فيه النقل والسند .وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل صالحاً ونافعاً لي ولطلاب العلم .

**تمهيد:** وفيه نتناول تعريف التفسير الإشاري ، وكذلك التعريف بتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

## أولاً: تعريف التفسير الإشاري :

وهو من الفعل أشار يشير إشارة ومعناها في اللغة كما جاء في المصباح المنير ( وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ إِشَارَةً وَشَوَّرَ تَشْوِيرًا

لَوَّحَ بِشَيْءٍ يُفْهَمُ مِنْ النُّطْقِ فَالْإِشَارَةُ تُرَادِفُ النُّطْقَ فِي فَهْمِ الْمَعْنَى كَمَا لَوْ اسْتَأْذَنَهُ فِي شَيْءٍ فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَوْ رَأْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ أَوْ لَا يَفْعَلَ فَيَقُومُ مَقَامَ النُّطْقِ.[ الفيومي، 326/1]. وفي لسان العرب ( وأَشار الرَّجُلُ يُشِيرُ إِشارَةً إِذا أَوْمَأَ بيديْه. وَيُقَالُ: شَوَّرْت إِليه بِيَدِي وأَشرت إِليه أَي لَوَّحْت إِليه وأَلَحْتُ أَيضاً. وأَشارَ إِليه باليَدِ: أَوْمأَ، وأَشارَ عَلَيْهِ بالرَّأْيِ. وأَشار يُشِير إِذا مَا وَجَّه الرَّأْي. وَيُقَالُ: فُلَانٌ جيّد المشُورة والمشْوَرَة. [ ابن منظور،1414هـ، 437/4] . وفي الكليات ( الاشارة: التَّلْوِيح بِشَيْء يفهم مِنْهُ النُّطْق؛ فَهِيَ ترادف النُّطْق فِي فهم الْمَعْنى ، وَالْإِشَارَة عِنْد إِطْلَاقهَا حَقِيقَة فِي الحسية، وَإِشَارَة ضمير الْغَائِب وأمثالها ذهنية لَا حسية ، وَالْإِشَارَة إِذا اسْتعْملت ب (على) يكون المرَاد الْإِشَارَة بِالرَّأْيِ، وَإِذا اسْتعْملت ب (إِلَى) يكون المرَاد الْإِيمَاء بِالْيَدِ –وَالْإِشَارَة عبارَة عَن أَن يُشِير الْمُتَكَلّم إِلَى معَان كَثِيرَة بِكَلَام قَلِيل يشبه الْإِشَارَة بِالْيَدِ، فَإِن المشير بِيَدِهِ يُشِير دفْعَة وَاحِدَة إِلَى أَشْيَاء لَو عبر عَنْهَا لاحتاج إِلَى أَلْفَاظ كَثِيرَة وَمن أمثلتها قَوْله تَعَالَى: {وغيض الماء}[ هود:44] ، فانه أَشَارَ بِهَاتَيْنِ اللفظتين إِلَى انْقِطَاع مَادَّة الْمَطَر وبلع الأَرْض وَذَهَاب مَا كَانَ حَاصِلاً من المَاء على وَجهها من قبل . وَالْإِشَارَة إِلَى الشَّيْء تَارَة تكون بِحَسب شخص، وَأُخْرَى بِحَسب نَوعه، قَالَ النَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي يَوْم عَاشُورَاء: " (هَذَا الْيَوْم الَّذِي أظهر الله فِيهِ مُوسَى على فِرْعَوْن [ أبوداود، 1436هـ، 2423/329/4]. وَالْمرَاد: النَّوْع وَقَالَ الله تَعَالَى: {وَخلق مِنْهَا زَوجهَا} أَي: من نوع الْإِنْسَان زوج آدم، وَالْمَقْصُود مِنْهُ التَّنْبِيه على أَنه تَعَالَى جعل زوج آدم إِنْسَاناً مثله؛ وَقد ورد التَّفْسِير بذلك عَن ابْن عَبَّاس وَهُوَ حبر الْأمة. وإشارة النَّص مَا عرف بِنَفس الْكَلَام لَكِن بِنَوْع تَأمل وَضرب تفكر. [ الكفوي ، 120]. والإشارة مما سبق تعني الإيماء للشيء . فالتفسير الإشاري يعني الأخذ بما يؤمي إليه النص.

وأما في الاصطلاح فحده ( هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره ، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم ،أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم ، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الالهام الإلهي ، أو الفتح الرباني مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد في الآيات الكريمة ، فالتفسير الإشاري هو أن يرى المفسر معنى آخر غير معنى الظاهر تحتمله الآية الكريمة ، ولكنه لا يظهر لكل إنسان إنما يظهر لمن فتح الله قلبه وأنار بصيرته ، وسلكه في ضمن عباده الصالحين الذين منحهم الفهم والإدراك .[ الصابوني ، 1405هـ ، 171]. وقد بين ابن القيم رحمه الله الشروط التي تجعله مقبولاً فقال ( وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط أن لا يناقض معنى الآية وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه وأن يكون في اللفظ إشعار به وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً .[ ابن القيم ،79] .وقد فصل الرومي هذه

الشروط التي ساقها ابن القيم رحمه الله وبين معنى قبول التفسير بهذه الشروط :

شروط قبول التفسير الإشاري:

إن العلماء الذين قبلوا هذا النوع من التفسير وضعوا له شروطاً أربعة هي:

1- ألا يتنافى وظاهر النظم القرآني الكريم.

2- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

3- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

4- أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر, بل لا بد من الاعتراف والتسليم بالمعنى الظاهر أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر, ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب . ثم إن المراد بالقبول هنا عدم رفضه لا وجوب اتباعه والأخذ به. أما عدم رفضه فلعدم منافاته لظاهر القرآن ولوجود الشاهد الذي يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض. أما عدم وجوب الأخذ به فلأن النص القرآني لم يوضع للدلالة عليه، بل هو من قبيل الوجدانيات التي لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان, والتي لا تنضبط بلغة ولا تتقيد بقانون.[ الرومي ، 1407هـ ، 374/1] .

وقد فرق عدنان زرزور في كتابه بين نوعين من هذا التفسير فقال ( ويحسبنا هنا بمناسبة هذه الإشارة إلى التفسير الإشاري أن نفرّق فيه بين صنفين: صنف اخترعته الزنادقة ليعطلوا أحكام الشريعة، أو ليقلبوا حكمة القرآن إلى معان سخيفة- وهذا باطل ببداهة العقول، وهذا الصنف يعرف عادة بالتفسير الباطني، أو تفسير أهل الباطن. وصنف ينسب إلى الصوفية، وهو الذي يدعى عادة بالتفسير الإشاري. والفرق بين هذا التفسير وتفسير الباطنية: «أن الباطنية يفسّرون الآيات بتلك المعاني المنبوذة على أنها هي المقصود من القرآن، أما أصحاب الإشارة فيسلّمون أن المراد من القرآن تلك المعاني التي يذكرها أهل العلم بالتفسير، غير أنهم يذكرون عند تفسير الآية معاني تخطر أذهانهم عند التلاوة وإن لم تدل عليها الآية بطريق من طرق الدلالات المعروفة في الاستعمال العربي [ زرزور، 1419هـ ، 220 ] . وقد قدم الشيخ الزرقاني نصيحة للمسلمين في أمر هذا النوع من التفسير قائلاً ( ولعلك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر فدخل في روعهم أن الكتاب والسنة بل الإسلام كله ما هي إلا سوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخييلات وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة ولم يحترموا قوانين اللغة العربية في فهم أبلغ النصوص العربية كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأدهى من ذاك أنهم يتخيلون ويخيلون إلى الناس أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله اتصالاً أسقط عنهم التكليف وسما بهم عن حضيض

الأخذ بالأسباب ما داموا في زعمهم مع رب الأرباب وهذا لعمر الله هو المصاب العظيم الذي عمل له الباطنية وأضرابهم من أعداء الإسلام كيما يهدموا التشريع من أصوله ويأتوا بنيانه من قواعده {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}. [ التوبة : 32].

فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع في هذه الشباك ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية ولا يعولوا على أشباهها مما ورد في كلام القوم بالكتب الصوفية لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقليد وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة والحق بالباطل وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل وإذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشة التي نستبعد صدورها من العلماء والمتصوفة بل من صادقي عامة المسلمين والتي نرى الطعن فيها بالدس والوضع أقرب وأسلم من الطعن فيمن عزيت إليه بالكفر والفسق. فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق وأن يفر بدينه من هذه الشبهات وأمامه في الكتاب والسنة وشروحهما على قوانين الشريعة واللغة رياض وجنات.[ الزرقاني ، 2/89-90] .

ومما سبق يتضح الله أن التفسير الإشاري منه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود وقد وضع العلماء شروطاً للمقبول كما بينت أعلاه حتى يصان القرآن من التأويلات المنحرفة .

## ثانياً: التعريف بتفسير القرآن العظيم (لابن كثير).

مؤلف هذا التفسير هو الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي ، كنيته ( أبو الفداء ) ولد سنة 700هـ وتوفي سنة 774هـ .

كان ابن كثير رحمه الله جبلاً شامخاً ، وبحراً ذاخراً في جميع العلوم وخاصة في التأريخ والحديث والتفسير ، وكان إماماً جليلاً متفنناً في أسلوب الكتابة والتأليف ، قال الذهبي عنه ( الإمام المفتي ، المحدث البارع ، فقيه متفنن ، محدث متقن ، مفسر نقال ، وله تصانيف مفيدة. [ الذهبي ، 1413هـ ،56/1]. وتفسيره يسمى ( تفسير القرآن العظيم ) وهو من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور ، ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب الطبري ، اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف ، فروى الأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها وتكلم عن بعضها بالجرح والتعديل ورد ما كان منها منكراً ، أو غير صحيح ، وهكذا يعتبر تفسيره من أحسن ما كتب في التفسير بالمأثور . وطريقته في التفسير أنه يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة ، ويأتي بشواهد من آيات أخرى ويقارن بين هذه الآيات حتى يتبين المعنى ويظهر المراد ، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير ، الذي يسمونه ( تفسير القرآن بالقرآن ) . [ الصابوني ، 1405هـ ، 192 ، الذهبي ، 173 ].

## المبحث الأول : التفسير الإشاري.

وفي هذا المبحث نورد المواضع التي قال فيها ابن كثير رحمه الله بالإشارة ، وستكون هذه المواضع في مطالب متتابعة حسب ترتيب المصحف وإليك هذه المواضع

### المطلب الأول : نور النبوة :

ورد في سورة البقرة قوله تعالى {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [ البقرة : 129] . قال رحمه الله في تفسيرها ( يَقُولُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ تَمَامِ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ لِأَهْلِ الْحَرَمِ -أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، أَيْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ. وَقَدْ وَافَقَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُسْتَجَابَةُ قَدَرَ اللَّهِ السَّابِقَ فِي تَعْيِينِ مُحَمَّدٍ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ (7) -رَسُولًا فِي الْأُمِّيِّينَ إِلَيْهِمْ، إِلَى سَائِرِ الْأَعْجَمِينَ، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوَيد الْكَلْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ هِلَالٍ السُّلَمِيِّ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إني عند الله لخاتم النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ، دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ".[ ابن حنبل ،1421هـ،17150/379/28]. وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ، وَاللَّيْثُ، وَكَاتِبُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، وَتَابَعَهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوَيد، بِهِ. وقال الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا الْفَرَجُ، حَدَّثَنَا لُقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: "دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى بِي، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ. [ ابن حنبل، 1421هـ، 22261/595/36] وَالْمُرَادُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ نَوَّهَ بِذِكْرِهِ وَشَهَرَهُ فِي النَّاسِ، إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ مَذْكُورًا مَشْهُورًا سَائِرًا حَتَّى أَفْصَحَ بِاسْمِهِ خاتمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَسَبًا، وَهُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطِيبًا، وَقَالَ: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصَّفّ: 6] ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذَا الحديث: "دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بن مَرْيَمَ". وَقَوْلُهُ: "وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ" قِيلَ: كَانَ مَنَامًا رَأَتْهُ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وقصته عَلَى قَوْمِهَا فَشَاعَ فِيهِمْ وَاشْتَهَرَ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ تَوْطِئَةً. وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَثُبُوتِهِ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ بِدِمَشْقَ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْبَيْضَاءِ مِنْهَا. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ

[مسلم،1434هـ،4988/52/6].[ابن كثير،1420هـ،443/1-444].

وفي هذه الآية رأينا أنه رحمه الله قد فسر النور الذي رأته أم النبي صلى الله عليه وسلم إشارياً حيث رمز إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، وقد انفرد رحمه الله بهذا التفسير ولم يشاركه فيه مفسر آخر ممن ذكروا الحديث .وقد نقل صاحب الأساس في التفسير هذا التفسير ثم علق بقوله( أقول: والمراد ببدء أمره عليه الصلاة والسلام أي بدء ظهور أمره في هذا العالم وأقول: إن للشام لرسالة وإن على أهلها لواجباً.[ حوي،1424هـ،275/1].

## المطلب الثاني : وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ :

جاء في سورة الأنعام قوله تعالى { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } .[ الأنعام : 36] . وقال رحمه الله في تفسيرها ( وَقَوْلُهُ: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} أَيْ: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لِدُعَائِكَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَسْمَعُ الْكَلَامَ وَيَعِيهِ وَيَفْهَمُهُ، كَقَوْلِهِ: {لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس: 70] ، وَقَوْلُهُ {وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} يَعْنِي: بِذَلِكَ الْكَفَّارَ؛ لِأَنَّهُمْ مَوْتَى الْقُلُوبِ، فَشَبَّهَهُمُ اللَّهُ بِأَمْوَاتِ الْأَجْسَادِ فَقَالَ: {وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ، وَالِازْدِرَاءِ عَلَيْهِمْ.[ ابن كثير ، 1420هـ ، 253/3] .

وهنا فسر الموت بموت القلوب وليس الموت بخروج الروح ونهاية الحياة .وقد فسر الطبري رحمه الله الآية فجعل الموت على الحقيقة فقال ( والموتى يبعثهم الله"، يقول: والكفارُ يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتًا، ولا يعقلون دعاء، ولا يفقهون قولاً إذ كانوا لا يتدبرون حُجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينزجرون عما هم عليه من تكذيب رُسل الله وخلافهم.[ الطبري ، 1420هـ ، 341/11] .وأما ابن جزي فقد وافق ابن كثير وزاد عليه أقوالاً أخري في تأويل الآية فقال ( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ المعنى إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فيها ثلاث تأويلات: أحدها أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة، فالمعنى أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفار، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع والثالث أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة. [ ابن جزي ، 1416هـ ، 260/1]. ووافق السعدي ابن كثير رحمه الله في قوله وزاد عليه بذكر المعنى الظاهر فقال ( أي: إنما يستجيب لك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون بما ينجيهم، فإنهم لا يستجيبون لك، ولا ينقادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم الله ثم إليه يرجعون، ويحتمل أن المراد بالآية، على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون. ويكون هذا، متضمناً للترغيب

في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك.[ السعدي،1420هـ ،255].

## المطلب الثالث : القلوب أوعية العلم:

وهو الموضع الثالث في سورة الرعد قوله تعالى ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) [الرعد:17].جاء في تفسيره ( اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى مَثَلَيْنِ مَضْرُوبَيْنِ لِلْحَقِّ فِي ثَبَاتِهِ وَبَقَائِهِ، وَالْبَاطِلِ فِي اضْمِحْلَالِهِ وَفَنَائِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: {أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} أَيْ: مطرًا، {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} أَيْ: أَخَذَ كُلُّ وَادٍ بِحَسْبِهِ، فَهَذَا كَبِيرٌ وَسِعَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ، وَهَذَا صَغِيرٌ فَوَسِعَ بِقَدْرِهِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْقُلُوبِ وَتَفَاوُتِهَا، فَمِنْهَا مَا يَسَعُ عِلْمًا كَثِيرًا، وَمِنْهَا مَا لَا يَتَّسِعُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ بَلْ يَضِيقُ عَنْهَا،[ ابن كثير 1420هـ ،447/4].

وهنا فسر رحمه الله الأودية بالقلوب والماء بالعلم .وقد ردّ ابن عطية هذا التأويل وأنكر نسبته لابن عباس رضي الله عنهما فقال ( وروي عن ابن عباس أنه قال: قوله تعالى: أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً يريد به الشرع والدين. وقوله: فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ: يريد به القلوب، أي أخذ النبيل بحظه. والبليد بحظه. قال القاضي أبو محمد: وهذا قول لا يصح- والله أعلم- عن ابن عباس، لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز، وقد تمسك به الغزالي وأهل ذلك الطريق، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو إلى ذلك، والله الموفق للصواب برحمته، وإن صح هذا القول عن ابن عباس فإنما قصد أن قوله تعالى: كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ معناه: الْحَقَّ الذي يتقرر في القلوب المهدية، وَالْباطِلَ: الذي يعتريها أيضا من وساوس وشبه حين تنظر في كتاب الله عز وجل.[ ابن عطية ، 1422هـ،308/3]

وقد أيد صاحب البحر المحيط ما ذهب إليه ابن كثير رحمه الله وأورد الحجة التي تؤيد هذا الرأي فقال ( هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ، وَالْقُلُوبِ، وَالْحَقِّ، وَالْبَاطِلِ. فَالْمَاءُ مِثْلُ الْقُرْآنِ لِمَا فِيهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَبَقَاءِ الشَّرْعِ وَالدِّينِ وَالْأَوْدِيَةُ مَثَلٌ لِلْقُلُوبِ، وَمَعْنَى بِقَدَرِهَا عَلَى سِعَةِ الْقُلُوبِ وَضِيقِهَا، فمنها ما انتفع بِهِ فَحَفِظَهُ وَوَعَاهُ وَتَدَبَّرَ فِيهِ، فَظَهَرَتْ ثَمَرَتُهُ وَأَدْرَكَ تَأْوِيلَهُ وَمَعْنَاهُ، وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ بِطَبَقَةٍ، وَمِنْهَا دُونَهُ بِطَبَقَاتٍ. وَالزَّبَدُ مِثْلُ الشُّكُوكِ وَالشُّبَهِ وَإِنْكَارِ الْكَافِرِينَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَدَفْعِهِمْ إِيَّاهُ بِالْبَاطِلِ. وَالْمَاءُ الصَّافِي الْمُنْتَفِعُ بِهِ مِثْلُ الْحَقِّ انْتَهَى. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ , كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلاَ تُنْبِتُ

كَلاَّ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي ».[ مسلم ، 1434هـ،6017/63/7] .[ أبوحيان،1420هـ،37/6].

## المطلب الرابع : إحياء الموتى :

وهذا هو الموضع الرابع في سورة يس قوله تعالى ( إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) [ يس:12]. وفسرها رحمه الله فقال ( {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي قَلْبَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَدْ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بِالضَّلَالَةِ، فَيَهْدِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الْحَدِيدِ: 17] .[ ابن كثير،1420هـ،565/6].وفي هذه فقد فسر رحمه الله قوله نحيي الموتى بإحياء قلوب الكفار ، وهو بإشارة المعنى وقد وافقه على هذا السلمي في تفسيره حيث قال ( قال محمد بن علي الترمذي في هذه الآية : إنا نحن نحيي الأنفس الميتة بتوفيق الخدمة ونحيي القلوب الميتة بأنوار الإيمان ونحيي الأسرار الميتة بأنوار الاطلاع ونحيي الأفئدة الميتة بأنوار المشاهدة.[السلمي،1421هـ،171/2]. وأما الشوكاني فقد نقل في تفسيره التفسير الظاهر من اللفظ وهو إحياء الموتى حقيقة بالبعث ،وكذلك نقل التفسير بالإشارة ورجح التفسير الظاهر على الإشاري حيث قال ( ثم أخبر سبحانه بإحيائه الموتى فقال ( إنا نحن نحيي الموتى ) أي نبعثهم بعد الموت وقال الحسن والضحاك أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل والأول أولى.[ الشوكاني، 1414هـ، 362/4].

## المطلب الخامس : الاستخلاف في المال :

وأما الموضع الخامس فقد جاء في سورة الحديد في قوله تعالى { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } [ الحديد: 7] قال في تفسيرها ( أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَالدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَحَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ أَيْ مِمَّا هُوَ مَعَكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَيْدِي مَنْ قَبْلَكُمْ ثُمَّ صَارَ إِلَيْكُمْ، فَأَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ فِي طَاعَتِهِ، فَإِنْ يَفْعَلُوا وَإِلَّا حَاسَبَهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقَبَهُمْ لِتَرْكِهِمُ الْوَاجِبَاتِ فِيهِ. وَقَوْلُهُ: {مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ مُخَلَّفًا عَنْكَ، فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، فَيَكُونَ أَسْعَدَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْكَ، أَوْ يَعْصِيَ اللَّهَ فِيهِ فَتَكُونَ قَدْ سَعَيْتَ فِي مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.[ ابن كثير،1420هـ،11/8].

وقد وافقت هذه الإشارة منه رحمه الله قول من سبقه منهم ابن عطية رحمه الله الذي قال ( وقوله: مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ تزهيد وتنبيه على أن الأموال إنما تصير إلى الإنسان من غيره ويتركها لغيره، وليس له من ذلك إلا ما تضمنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ؟» [ الترمذي، 1998م ، 2342/150/4]. ويروى أن رجلاً مر

بأعرابي له إبل، فقال له: يا أعرابي، لمن هذه الإبل؟ فقال: هي لله عندي. فهذا موقف مصيب إن كان ممن صحب قوله عمله.[ابن عطية، 1422هـ، 258/5]. ووافق أيضاً الزمخشري حيث قال ( مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم: بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به.[ الزمخشري،1407هـ،473].ووافق الماتريدي الذي قال ( وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) يقول – والله أعلم –: وأنفقوا من المال الذي جعلكم فيه خلفاء من تقدمكم؛ لأن الناس يخلف بعضهم بعضاً في هذه الأموال؛ كأنه يقول: أنفقوا من المال الذي جعلكم خلفاء من تقدمكم قبل أن يخلفكم من بعدكم؛ كما ترك الإنفاق من تقدمكم؛ إذ هي إنما أنشئت للإنفاق والانتفاع بها، لا للترك كما هي، والله أعلم.[ الماتريدي،1426هـ،516/9].

## المطلب السادس: حياة القلوب :

وهنا الموضع السادس في سورة الحديد أيضاً وهو قوله تعالى {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[ الحديد:17]. وفسرها بقوله ( وَقَوْلُهُ: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ، تَعَالَى، يُلِينُ الْقُلُوبَ بَعْدَ قَسْوَتِهَا، وَيَهدي الحَيَارى بَعْدَ ضَلتها، ويفرّج الْكُرُوبَ بَعْدَ شِدَّتِهَا، فَكَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ الْمُجْدِبَةَ الْهَامِدَةَ بِالْغَيْثِ الهتَّان [الْوَابِلِ] كَذَلِكَ يَهْدِي الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ بِبَرَاهِينِ الْقُرْآنِ وَالدَّلَائِلِ، وَيُولِجُ إِلَيْهَا النُّورَ بَعْدَ مَا كَانَتْ مُقْفَلَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْوَاصِلُ، فَسُبْحَانَ الْهَادِي لِمَنْ يَشَاءُ بَعْدَ الْإِضْلَالِ، وَالْمُضِلِّ لِمَنْ أَرَادَ بَعْدَ الْكَمَالِ، الَّذِي هُوَ لِمَا يَشَاءُ فَعَّالٌ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ، اللَّطِيفُ الخبير الكبير المتعال. [ابن كثير،1420هـ،21/8].والإشارة هنا هي في تفسيره للأرض الميتة بالقلوب القاسية وإحيائها بالهدى ، وهذه الإشارة جاءت عند كثير من المفسرين منهم الإمام الطبري رحمه حيث قال ( يقول تعالى ذكره (اعْلَمُوا) أيها الناس (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ) الميتة التي لا تنبت شيئا، (بَعْدَ مَوْتِهَا) يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضَّالَّ عن الحقّ إلى الحق، فنوفّقه ونسدّده للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كفره، ومهتدياً من بعد ضلاله.[ الطبري،1420هـ،189/23].وجاء بها القرطبي في قوله ( قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أي (يُحْيِي الْأَرْضَ) الْجَدْبَةَ (بَعْدَ مَوْتِهَا) بِالْمَطَرِ. وَقَالَ صَالِحٌ الْمُرِّيُّ: الْمَعْنَى يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ بَعْدَ قَسَاوَتِهَا. وَقَالَ جعفر ابن مُحَمَّدٍ: يُحْيِيهَا بِالْعَدْلِ بَعْدَ الْجَوْرِ. وَقِيلَ:

الْمَعْنَى فَكَذَلِكَ يُحْيِي الْكَافِرَ بِالْهُدَى إِلَى الْإِيمَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ. وَقِيلَ: كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى مِنَ الْأُمَمِ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَاشِعِ قَلْبُهُ وَبَيْنَ الْقَاسِي قَلْبُهُ. (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أَيْ إِحْيَاءُ اللَّهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَمُحْيِي الموتى.[ القرطبي،1384هـ،252/17]. ومن المتأخرين السعدي حيث قال ( {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و [لم] ينقد لشرائع الله. [ السعدي ، 1420هـ، 840] المطلب السابع:

## السعي لذكر الله :

وهو الموضع السابع جاء في سورة الجمعة قوله تعالى {يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }. [الجمعة:9]. وجاء في تفسيره رحمه الله قوله ( وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالِاجْتِمَاعِ لِعِبَادَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} أَيِ: اقْصِدُوا وَاعْمَدُوا وَاهْتَمُّوا فِي مَسيركم إِلَيْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بالسعي هاهنا الْمَشْيُ السَّرِيعُ، وَإِنَّمَا هُوَ الِاهْتِمَامُ بِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الْإِسْرَاءِ: 19] وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقْرَآنِهَا: "فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ". فَأَمَّا الْمَشْيُ السَّرِيعُ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَدْ نُهِيَ عَنْهُ، ثم نقل رحمه الله قول الحسن البصري قَالَ الْحَسَنُ أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسَّعْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ، وَلَقَدْ نُهُوا أَنْ يَأْتُوا الصَّلَاةَ إِلَّا وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَلَكِنْ بِالْقُلُوبِ وَالنِّيَّةِ وَالْخُشُوعِ.[ ابن كثير،1420هـ,120/8]. فهو قد فسر السعي هنا بالاهتمام بها. وقد أورد الواحدي في البسيط غير هذا التأويل فقال ( قوله تعالى: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} قال ابن عباس: فامضوا. وقال مقاتل: فامشوا. وعلى هذا معنى السعي والذهاب في معنى واحد، لأنك تقول: فلان يسعى في الأرض يبتغي الرزق وليس هذا باشتداد، ويدل على هذا قراءة عمر، وابن مسعود (فامضوا إلى ذكر الله).وهي قراءة شاذة [ابن جني،1420هـ،411/2، القاسم بن سلام،1415هـ ، 314]. وقال ابن جريج: قلت لعطاء {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} قال: الذهاب والمشي ، يقال: سعى إلى بني فلان وإنما هي مشي.[ الواحدي ،1430هـ،454/21].ثم نقل الواحدي عن الزجاج تفسير قول الحسن البصري رحمه الله، وكذلك نقل قول الإمام الشافعي والإمام مالك رحمهما الله بأن السعي هو الفعل والعمل حيث قال ( وقال الزجاج: معناه: فاقصدوا، وليس معناه العدو، وهذا معنى قول الحسن. قال: والله ما هو سعي على الأقدام، ولكنه سعي بالقلوب، وسعي بالنية، وسعي بالرغبة ، ونحو هذا، قال قتادة: السعي أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المشي إليها.

وحمل قوم السعي هاهنا على العمل، قال محمد بن كعب: السعي العمل وهو مذهب مالك والشافعي [الشافعي ، 2001م 393/2] ، قال مالك [العدوي،1414هـ ،368/1] : السعي في كتاب الله العمل والفعل، واحتج بقوله: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ} [البقرة: 205]، وقوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: 4] قال: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام ولا بالاشتداد وإنما ذلك الفعل والعمل. [ الواحدي ،1430هـ ،455/21] . ولعل الذي يجمع هذه الأقوال هو أن المراد بالسعي هو المبادرة بفعل الصلاة بالنية وحضور القلب.

## المطلب الثامن: مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ :

وجاء الموضع الثامن في سورة الانفطار قوله تعالى ( يأيها الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ) [ الانفطار: 6] . وفي الآية لم يأخذ رحمه الله بالتفسير بالإشارة بل رد على من قال به كما سيبينه قوله ( وقوله: {يأيها الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} ؟ : هَذَا تَهْدِيدٌ، لا كما يتوهمه بعض الناس مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ؛ حَيْثُ قَالَ: {الْكَرِيمِ} حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: غَرَّهُ كَرَمُهُ. بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ-أَيِ: الْعَظِيمِ-حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ؟ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أجبتَ الْمُرْسَلِينَ؟ "[ النسائي، 1421هـ، 403/10/ 11843] قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: أَنَّ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: {يأيها الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} فَقَالَ عُمَرُ: الْجَهْلُ .وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَلَفٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى الْبَكَّاءُ، سَمِعْتُ ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: {يأيها الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} قَالَ ابْنُ عُمَرَ: غَرَّهُ-وَاللَّهِ-جَهْلُهُ. قالَ: ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيم وَالْحَسَنِ، مِثْلُ ذَلِكَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} شيءٌ، مَا غَرّ ابْنَ آدَمَ غَيْرُ هَذَا الْعَدُوِ الشَّيْطَانِ. وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: لَوْ قَالَ لِي:" مَا غَرَّكَ بِي لَقُلْتُ: سُتُورك المرخاة. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: لَوْ قَالَ لِي: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} لَقُلْتُ: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ. قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: إِنَّمَا قَالَ: {بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} دُونَ سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَأَنَّهُ لَقَّنَهُ الْإِجَابَةَ حَتَّى يَقُولَ: غَرَّنِي كرم الكريم. [ البغوي ،1420هـ، 219/5] . وهذا القول الذي نقله البغوي جاء عن القشيري في تفسيره حيث قال ( قوله جل ذكره: «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» أي: ما خدعك وما سوّل لك حتى عملت بمعاصيه؟ ويقال: سأله وكأنما في نفس السؤال لقّنه الجواب يقول: غرّني كرمك بي، ولولا كرمك لما فعلت لأنّك رأيت فسترت، وقدّرت فأمهلت.[ القشيري،3/ 369] .

وَهَذَا الَّذِي تَخَيَّلَهُ هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَ بِطَائِلٍ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ {الْكَرِيمِ} ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمُ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ.[ ابن كثير، 1420هـ، 342/8]. وقد سبق الزمخشري رحمه في رد هذا التفسير بعدما نقل بعض أقوال السلف كما في تفسيره ( قال الحسن : غره والله شيطانه الخبيث ، أي : زين له المعاصي وقال

له : أفعل ما شئت ، فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أوّلاً وهو متفضل عليك آخراً ، حتى ورطه وقيل للفضيل ابن عياض : إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك : ( مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ) ماذا تقول ؟ قال أقول : غرتني ستورك المرخاة . وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر ، وليس باعتذار كما يظنه الطماع ، ويطن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم : إنما قال ( بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ) دون سائر صفاته ، ليلقن عبده الجواب حتى يقول : غرّني كرم الكريم .[ الزمخشري،1407هـ، 716/4]. وقد نقل ابن حيان هذا الكلام للزمخشري ثم علق عليه بقوله ( وَهُوَ عَادَتِهِ فِي الطَّعْنِ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ) .[ أبوحيان ،1420هـ، 422/10].

وقد وافق ابن جزي ابن كثير رحمه الله فيما ذهب إليه من ذكر الكريم فقال ( فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكراً لإحسانه ومقابلة لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب . [ ابن جزي، 1416هـ ،458/2] .

وبعد هذا العرض للمواضع التي أخذ ابن كثير رحمه الله فيها بالتفسير الإشاري ، ومع قلة هذه المواضع لكن فيها دروس مهمة ، الدرس الأول يتعلق بالتفسير وهو احتواؤه لألوان من التفسير مع ما غلب عليه من المأثور. والدرس الثاني يتعلق بمؤلفه رحمه الله وهو سعة علمه وتفننه واجتهاده في توصيل المعاني الصحيحة للآيات بكل سبيل صحيح ومأمون . والدرس الثالث يتعلق بموقف السلف رحمهم الله من هذا اللون من التفسير وهو الأخذ به بالشروط المذكورة آنفاً لبيان بعض ما في القرآن من غير توسع .

## المبحث الثاني: رد التأويلات البعيدة.

وفي هذا المبحث نبين رده رحمه الله على كثير من التأويلات البعيدة والتي لا يحتملها معنى الآية ، وبذلك تكون قد اكتملت الصورة لدى القارئ عن منهجه رحمه الله في التأويل فهو يقبل ما كان منه مناسباً ومبيناً للمعنى ويرد ما كان بعيداً وفيه شيء من التكلف ، وسنعرض هذه المواضع متتابعة أيضاً حسب ترتيب المصحف.

### المطلب الأول: ذَلِكَ الْكِتَابُ:

وهذا الموضع الأول في سورة البقرة وهي قوله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة : 2] . قال فيها ( قَالَ ابْنُ جُرَيج: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "ذَلِكَ الْكِتَابُ": هَذَا الْكِتَابُ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَابْنُ جُرَيْجٍ: أَنَّ ذَلِكَ بِمَعْنَى هَذَا، وَالْعَرَبُ تُقَارِضُ بَيْنَ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ فَيَسْتَعْمِلُونَ كُلًّا مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِهِمْ. وَ {الْكِتَابُ} الْقُرْآنُ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الْكِتَابِ الْإِشَارَةُ إِلَى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، كَمَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ، فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَةَ وأغرق فِي النَّزْعِ،

وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.[ ابن كثير ، 1420هـ ،162/1]. وهنا قد رد تفسير من قال أن المقصود بالكتاب التوراة والإنجيل . وهذا القول حكاه الطبري رحمه الله عن بعضهم قائلاً ( وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: 2] يَعْنِي بِهِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَإِذَا وُجِّهَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْوَجْهِ فَلَا مُؤْنَةَ فِيهِ عَلَى مُتَأَوِّلِهِ كَذَلِكَ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ حِينَئِذٍ إِخْبَارًا عَنْ غَائِبٍ عَلَى صِحَّةٍ .[ الطبري ، 1422هـ، 231/1] .وقد نقل القرطبي هذا القول بشيء من التفصيل فقال ( وقيل : إن "ذلك" إشارة إلى ما في التوراة والإنجيل. و {الم} اسم للقرآن ، والتقدير هذا القرآن ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل ، يعني أن التوراة والإنجيل يشهدان بصحته ويستغرق ما فيهما ويزيد عليهما ما ليس فيهما. وقيل : إن "ذلك الكتاب" إشارة إلى التوراة والإنجيل كليهما ، والمعنى : الم ذانك الكتابان أو مثل ذينك الكتابين ، أي هذا القرآن جامع لما في ذينك الكتابين ، فعبر بـ "بذلك" عن الاثنين بشاهد من القرآن.[ القرطبي ،1384هـ ،158/1].

## المطلب الثاني: وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى:

جاء في سورة طه الموضع الثاني وهو قوله تعالى ؛{ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } [ طه :17-18].

جاء في تفسير الثعلبي في الكلام عن ولي فيها مآرب أخرى (كان موسى عليه السلام يحمل عليها زاده وسقاءه، فجعلت تماشيه وتحدّثه، وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء، وكان يردّ بها غنمه، وتقيه الهوام بإذن الله، وإذا ظهر له عدّو حاربت وناضلت عنه، وإذا أراد الإسقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي، وكان يظهر على شعبتيها كالشمعتين بالليل تضيء له ويهتدي بها، وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض فتغصّنت غصن تلك الشجرة وأورقت ورقها وأثمرت ثمرها، فهذه المآرب.[ الثعلبي ،1422هـ ، 242/6] .

وقد رد ابن كثير هذا التأويل فقال ( وَقَوْلُهُ: {وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} أَيْ: مَصَالِحُ وَمَنَافِعُ وَحَاجَاتٌ أُخَرُ غَيْرُ ذَلِكَ. وَقَدْ تَكَلَّفَ بَعْضُهُمْ لِذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَآرِبِ الَّتِي أُبْهِمَتْ، فَقِيلَ: كَانَتْ تُضِيءُ لَهُ بِاللَّيْلِ، وَتَحْرُسُ لَهُ الْغَنَمَ إِذَا نَامَ، وَيَغْرِسُهَا فَتَصِيرُ شَجَرَةً تُظِلُّهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا اسْتَنْكَرَ مُوسَى صَيْرُورَتَهَا ثُعْبَانًا، فَمَا كَانَ يَفِرُّ مِنْهَا هَارِبًا، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَكَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ: إِنَّهَا كَانَتْ لِآدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَوْلُ الْآخَرِ: إِنَّهَا هِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ اسْمُهَا مَاشَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .[ ابن كثير ، 1420هـ ، 279/5] .

ولعل ما ذهب إليه هو الصواب لأن هذه من أمور الغيب التي تحتاج إلى صحة الدليل .

## المطلب الثالث: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا:

وجاء الموضع الثالث في سورة الأنبياء وهو قوله تعالى { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ } [ الأنبياء : 84] . وقد ذكر ابن عطية في تفسيره أن زوجة أيوب كان اسمها رحمة وذلك أثناء سرده قصة بلاء أيوب عليه السلام فقال ( فجاءه إبليس وهو ساجد، فنفخ في أنفه نفخة احترق بدنه منها وجعلها الله تعالى أكلة في بدنه، فلما عظمت وتقطع أخرجه الناس من بينهم وجعلوه على سباطة ولم يبق معه بشر حاشى زوجته، ويقال كانت بنت يوسف الصديق، وقيل اسمها رحمة، وقيل في أيوب إنه من بني إسرائيل.[ ابن عطية ، 1422هـ ، 94/4] .

وعلق ابن كثير على هذا الكلام بقوله ( وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ اسْمَ زَوْجَتِهِ رَحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَةَ، وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ مِنْ نَقْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَصَحَّ ذَلِكَ عَنْهُمْ، فَهُوَ مِمَّا لَا يُصَدَّقُ وَلَا يُكَذَّبُ. وَقَدْ سَمَّاهَا ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-قَالَ: وَيُقَالُ: اسْمُهَا لَيَا ابْنَةُ مِنَشَّا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: وَيُقَالُ: لَيَا بِنْتُ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، زَوْجَةُ أَيُّوبَ كَانَتْ مَعَهُ بِأَرْضِ الْبَثَنِيَّةِ.[ابن كثير ،1420هـ ،362/5].

## المطلب الرابع: يوم الفتح:

والموضع الرابع جاء في سورة السجدة وهو قوله تعالى {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ } [ السجدة : 29] . وجاء في تفسير السمرقندي لهذه الآية ( ثم قال عز وجل: قُلْ يا محمد يَوْمَ الْفَتْحِ يعني: يوم القيامة لاَ يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ قال في رواية الكلبي: إن أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون فيما بينهم وهم بمكة قبل فتح مكة لهم. وكان ناس من بني خزيمة كانوا إذا سمعوا ذلك منهم، يستهزئون بهم ويقولون لهم: متى فتحكم هذا الذي كنتم تزعمون؟ ويقولون: فنزل يعني: بني خزيمة. مَتى هذَا الْفَتْحُ يا أصحاب محمد إن كنتم صادقين. قُلْ يا محمد يَوْمَ الْفَتْحِ أي: فتح مكة لاَ يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ من القتل وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ حتى يقتلوا.[ السمرقندي ،41/3]. وقد أنكر ابن كثير رحمه أن يكون المقصود بيوم الفتح هو فتح مكة وعضد قوله بحجج ترد هذا القول فقال ( قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ} أَيْ: إِذَا حَلَّ بِكُمْ بَأْسُ اللَّهِ وسَخَطه وَغَضَبُهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى، {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} [غَافِرٍ: 83-85] ، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ فتحُ مَكَّةَ فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعة، وَأَخْطَأَ فَأَفْحَشَ، فَإِنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ قَدْ قَبِل

رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْلَامَ الطُّلَقَاءِ، وَقَدْ كَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ فَتْحَ مَكَّةَ لَمَا قَبِلَ إِسْلَامَهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْفَتْحُ الَّذِي هُوَ الْقَضَاءُ وَالْفَصْلُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 118] ، وَكَقَوْلِهِ: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سَبَأٍ: 26] ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إِبْرَاهِيمَ: 15] ، وَقَالَ: {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} [الْبَقَرَةِ: 89] ، وَقَالَ: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} [الْأَنْفَالِ: 19] .[ ابن كثير ،1420هـ ،374/6] .

## المطلب الخامس: وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا:

وننتقل إلى الموضع الخامس والذي جاء في سورة الزمر وهو قوله تعالى { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.} [ الزمر :73] . وجاء الكلام فيها عن الواو في قوله ( وفتحت أبوابها) قال الثعلبي ( زيدت الواو هاهنا، لأن أبواب الجنّة ثمانية وأبواب الجحيم سبعة، فزيدت الواو هاهنا فرقاً بينهما. حكى شيخنا عبد الله بن حامد عن أبي بكر بن عبدش أنها تسمى واو ثمانية. قال: وذلك أن من عادة قريش أنهم يعدون العدد من الواحد إلى الثمانية، فإذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واواً فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، يدل عليه قول الله تعالى: {سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً }[ الحاقة :7 ] وقال سبحانه: التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ ، فلما بلغ الثامن من الأوصاف قال وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ [ التوبة :112 ] ، وقال سبحانه وتعالى: {وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} [ الكهف : 22] ، وقال تعالى: {ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً}[ التحريم :5 ]. [ الثعلبي ،1422هـ ، 257/8] . وقد رد ابن كثير على هذا التأويل واستدل بالأحاديث التي تؤيد حجته فقال ( وَقَوْلُهُ: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} لَمْ يَذْكُرِ الْجَوَابَ هَاهُنَا، وَتَقْدِيرُهُ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ فَتْحِ الْأَبْوَابِ لَهُمْ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا، وَتَلَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْخَزَنَةُ بِالْبِشَارَةِ وَالسَّلَامِ وَالثَّنَاءِ، لَا كَمَا تَلْقَى الزَّبَانِيَةُ الْكَفَرَةَ بِالتَّثْرِيبِ وَالتَّأْنِيبِ، فَتَقْدِيرُهُ: إِذَا كَانَ هَذَا سَعِدوا وَطَابُوا، وسُرّوا وَفَرِحُوا، بِقَدْرِ كُلِّ مَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهِ نَعِيمٌ. وَإِذَا حُذِفَ الْجَوَابُ هَاهُنَا ذَهَبَ الذِّهْنُ كُلَّ مَذْهَبٍ فِي الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ "الْوَاوَ" فِي قَوْلِهِ: {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} وَاوُ الثَّمَانِيَةِ، وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ، فَقَدْ أَبْعَدَ النّجْعَة وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ. وَإِنَّمَا يُسْتَفَادُ كَوْنُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل

الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان"، فقال أبو بكر: والله يا رسول الله، ما على أحدٍ من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعي منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: "نعم، وإني أرجو أن تكون منهم". [ابن حنبل ، 1421هـ ، 7633/72/13] .

وَفِيهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَازِمٍ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم قال: ( فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، بَابٌ مِنْهَا يُسَمَّى الرَّيَّانُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ ) [ الطبراني ، 1415هـ ، 5795/146/6] .[ ابن كثير ، 1420هـ ،7/121-122] .

## المطلب السادس: فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ:

وهنا الموضع السادس وجاء في صدر سورة الدخان وهو قوله تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ } [ الدخان: 3] . ونقل الواحدي عن عكرمة أنه قال عن هذه الليلة المباركة أنها ليلة النصف من شعبان فقال ( قوله: {فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} أي كثيرة الخير، والليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة، بأن الخير ينمو فيها على ما دبره الله من علو مرتبتها بالخير الذي قسمه الله فيها، واختلفوا في الليلة المباركة فقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: إنها ليلة القدر. وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان.[ الواحدي ،1430هـ ،94/20] . وقد رد ابن كثير القول بأنها ليلة النصف من شعبان ورجح أنها ليلة القدر فقال ( يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: إِنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [الْقَدْرِ: 1] وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ: تَعَالَى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: 185] . وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ -كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ-فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَةَ فَإِنَّ نَصَّ الْقُرْآنِ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ. وَالْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ( تُقْطَعُ الْآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ، وَقَدْ أُخْرِجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى ) [ البيهقي ، 1423هـ ، 3558/365/5 ] .فَهُوَ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ، وَمِثْلُهُ لَا يُعَارَضُ بِهِ النُّصُوصُ.[ ابن كثير ، 1420هـ ، 246/7 ] .

## المطلب السابع: وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ:

والموضع السابع جاء في سورة الطلاق وهو قوله تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [ الطلاق : 12] .

وجاء في تفسير إيجاز البيان لنجم الدين النيسابوري ( وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ أي: [سبعة] أقاليم، وهي قطع من الأرض بخطوط متوازية لبلدان كثيرة تمرّ على بسيط الأرض طولاً وعرضاً، ويزداد النّهار الأطول الصيفيّ في الخط المجتاز

بالطول على وسط كل واحد منها على مقداره في خط وسط الذي هو عنه أجنب بنصف ساعة يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ: تنزلت القضاء والقدر بينهن منازل من شتاء وصيف ونهار وليل، ومطر ونبات، ومحيا وممات، ومحبوب ومحذور، واختلاف وائتلاف. [النيسابوري،1415هـ، 821/2] . ونقل الماوردي عن الكلبي بعد أن نقل قول الجمهور على أنها سبع أراضين بعضها فوق بعض ثم قال ( القول الثاني: حكاه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بعض، تفرق بينهن البحار وتظل جميعهن السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل هذه الأرض وصول للأخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمت لكان النص بها وارداً ولكان الرسول بها مأموراً، والله أعلم بصحة ما استأثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه.[ الماوردي ،37/6]. وقد رد ابن كثير هذا القول فقال ( يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ لِيَكُونَ ذَلِكَ بَاعِثًا عَلَى تَعْظِيمِ مَا شَرَعَ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ {اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ {أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نُوحٍ: 15] وَقَالَ تَعَالَى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} [الْإِسْرَاءِ: 44] . وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} أَيْ سَبْعًا أَيْضًا، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ( مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبر مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقه مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ) [ البخاري ،1422هـ ، 2453/130/3] وَفِي مسند أحمد (خُسِف بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ ) [ بن حنبل ، 1416هـ، 5740/223/5] .

وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى سَبْعَةِ أَقَالِيمَ فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَة، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ وَخَالَفَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ بِلَا مُسْتَنَدٍ.[ ابن كثير ، 1420هـ ،156/8].

## المطلب الثامن: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ:

وجاء الموضع الثامن في سورة القيامة وهو قوله {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }. [القيامة :22-23].

قال الفخر الرازي في تأويل هذه الآية ( النَّظَرُ الْمَقْرُونُ بِحَرْفِ إِلَى غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ فِي مَعْنَى الِانْتِظَارِ، وَلِأَنَّ الِانْتِظَارَ غَمٌّ وَأَلَمٌ، وَهُوَ لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ السَّعَادَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّا نَقُولُ: الْجَوَابُ: عَنِ الْأَوَّلِ مِنْ وَجْهَيْنِ الْأَوَّلُ: النَّظَرُ الْمَقْرُونُ بِحَرْفِ إِلَى قَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الِانْتِظَارِ، وَالتَّوَقُّعِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُقَالُ: أَنَا إِلَى فُلَانٍ نَاظِرٌ مَا يَصْنَعُ بِي، وَالْمُرَادُ مِنْهُ التَّوَقُّعُ وَالرَّجَاءُ، -وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِيهِ أَنَّ قَوْلَهُمْ فِي الِانْتِظَارِ نَظَرْتُ بِغَيْرِ صِلَةٍ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الِانْتِظَارِ لِمَجِيءِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مُنْتَظِرًا لِرِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ، فَقَدْ يُقَالُ فِيهِ: نَظَرْتُ إِلَيْهِ كَقَوْلِ الرَّجُلِ، وَإِنَّمَا نَظَرِي إِلَى اللهِ ثُمَّ إِلَيْكَ، وَقَدْ يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ لَا يُبْصِرُ، وَيَقُولُ الْأَعْمَى فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى: عَيْنِي شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ، ثُمَّ إِنْ سَلَّمْنَا ذَلِكَ لَكِنْ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ

المراد من (إلى) هاهنا حَرْفُ التَّعَدِّي بَلْ هُوَ وَاحِدُ الْآلَاءِ، وَالْمَعْنَى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ نِعْمَةُ رَبِّهَا مُنْتَظِرَةٌ.[ الرازي،1420هـ،731/30]. وقد بين ابن كثير رحمه الله بطلان هذا القول وبين عقيدة أهل السنة في ذلك فقال ( ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} مِنَ النَّضَارَةِ، أَيْ حَسَنَةٌ بَهِيَّة مُشْرِقَةٌ مَسْرُورَةٌ، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} أَيْ: تَرَاهُ عَيَانًا، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صَحِيحِهِ: ( إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَاناً ) [ البخاري ، 1422هـ ،7435/127/9] . وَقَدْ ثَبَتَتْ رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، مِنْ طُرُقٍ مُتَوَاتِرَةٍ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، لَا يُمْكِنُ دَفْعُهَا وَلَا مَنْعُهَا؛[ ابن كثير،1420هـ،279/8].

ثم قال في رد التأويل المتقدم ( وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِـ {إِلَى} مُفْرَدُ الْآلَاءِ، وَهِيَ النِّعَمُ، كَمَا قَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} فَقَالَ تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ مُجَاهِدٍ. وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ أَيْضًا -فَقَدْ أَبْعَدَ هَذَا الْقَائِلُ النُّجْعَةَ، وَأَبْطَلَ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ. وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} ؟ [الْمُطَفِّفِينَ: 15] ، قَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ [ الشافعي ،1427هـ،، 1430/3] : مَا حَجَبَ الْفُجَّارَ إِلَّا وَقَدْ عَلِم أَنَّ الْأَبْرَارَ يَرَوْنَهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.[ابن كثير،1420هـ،280/8].

## المطلب التاسع: وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا:

وهذا هو الموضع التاسع الذي جاء في سورة الشمس وهو قوله تعالى {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا}. قال الفراء في بيان هذه الآية ( وقوله عز وجل: وَالنَّهارِ إذا جَلَّاها: جلى الظلمة، فجاز الكناية عَنِ الظلمة ولم تُذْكر لأنّ معناها معروف، ألا ترى أنك تقول: أصبَحت باردةً، وأمست باردة، وَهبت شَمالًا، فكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر لأن معناها معروف. [ الفراء ، 266/3] ، وقد تبعه على هذا التأويل الزجاج فقال ( وقوله: (وَالنَّهارِ إِذَا جَلَّاهَا قالوا معناه إذَا جَلَّى الظلمة، وإن لم يكن في الكلام ذكر الظلمة فالمعنى يدل عليها كما تقول: أصبحت باردة، تريد أصبحت غُداتنا بَارِدة وقيل: (وَالنَّهارِ إِذَا جَلَّاهَا) إذا بين الشمس لأنها تبين إذا انبسط النهار.[ الزجاج ،1408هـ،332/5].

وقد نقل الإمام الطبري هذا التأويل عن أهل العربية وعلق ابن كثير مصوباً له فقال ( وَقَوْلُهُ: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا} قَالَ مُجَاهِدٌ: أَضَاءَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا} إِذَا غَشِيَهَا النَّهَارُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِمَعْنَى: وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّا الظُّلْمَةِ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا. قُلْتُ: وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ تَأَوَّلَ [ذَلِكَ] بِمَعْنَى {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا} أَيِ: الْبَسِيطَةُ، لَكَانَ أَوْلَى، وَلَصَحَّ [تَأْوِيلُهُ فِي] قَوْلِ اللَّهِ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} فَكَانَ أَجْوَدَ وَأَقْوَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا} إِنَّهُ كَقَوْلِهِ: {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل: 2] .[ ابن

كثير،1420هـ،410/8]. وقد سبق مكي بن أبي طالب في التعليق على بعد التأويل الذي ذهب إليه أهل العربية فقال ( وقال الفراء: إذا جلى الظلمة، أي: أذهبها بضوء، فأضمر الظلمة في {جَلاَّهَا}، ولم يجر لها ذكر، وفيه بعد.[ مكي بن أبي طالب ، 1429هـ، 8291/12].

وبناء على ما سبق في المبحث نقول أن هذه المواضع وإن كانت قليلة لكنها تعطي إشارات مهمة ، منها سعة اطلاع ابن كثير على ما سبقه من جهود العلماء السابقين ، ولم يكن ناقلاً ولكن كان ناقداً بصيراً ،ودلت كذلك على تمكنه من علم الحديث والذي كان حاضراً في استدلاله على ما ترجح عنده من التأويل .ولذلك فإن هذا النهج يعطي هذا السفر قيمة علمية كبيرة أعلت من تصنيفه من بين كتب التفسير.

# خاتمة:

وبعد عرض هذه المادة العلمية أقدم تلخيصاً لأهم نتائج هذا البحث والتي منها:

1/ التفسير الإشاري ضرب من التفسير بالرأي ، ومنه ما هو مقبول بحسب تحقق شروط الصحة التي بينها أهل التفسير ، ومنه ما هو مردود بمخالفته شروط الصحة وبعده عن معنى الآية .

2/ غلب على تفسير القرآن العظيم لابن كثير التفسير بالمأثور، لكنه حوى طائفة من التفسير بالرأي ، ومنه التفسير الإشاري.

3/ وضح من خلال هذا البحث موقف ابن كثير رحمه الله من تأويل من سبقه فهو يقبله إن كان موافقاً، ويرده بالحجج الواضحة إن كان مخالفاً.

4/ أخذه رحمه الله بالتفسير الإشاري يدل على اجتهاده في بيان معاني الآيات بكل سبيل صحيح.

5/ المواضع التي أخذ فيها رحمه الله بالتفسير الإشاري تعطي نموذجاً للتفسير المقبول.

6/ رده رحمه الله لبعض تأويلات من سبقه تدل على تمكنه وسعة اطلاعه ، وأنه كان ناقداً بصيراً ولم يكتف بالنقل فقط. وهذا النهج يعطي تفسيره قيمة علمية كبيرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# المصادر والمراجع:

ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد.(1416هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (1420هـ). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

*ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (1416هـ) .مسند الإمام أحمد بن حنبل . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة : دار الحديث.*

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الله (1422هـ) *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1419هـ) *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

*ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (دون سنة) .التبيان في أقسام القرآن .دار الفكر.*

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل.(1414هـ) ، *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.

*أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (1436هـ) .سنن أب داود . المحقق عادل محمد وعماد عباس .القاهرة : دار التأصيل*

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (1422هـ). *صحيح البخاري*. بيروت: دار طوق النجاة.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (1420هـ) *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

*البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (1423هـ) .شعب الإيمان . تخريج وتحقيق أحمد مختار الندوي .الرياض : مكتبة الرشد بالتعاون مع بومباي : الدار السلفية بالهند.*

*الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (1998م) .سنن الترمذي . المحقق بشار عواد معروف . بيروت : دار الغرب الإسلامي.*

*الثعلبي ،أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحق (1422هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن .تحقيق محمد بن عاشور . بيروت : دار إحياء التراث العربي.*

*حوّي ، سعيد بن محمد ديب بن محمود(1424هـ) . الأساس في التفسير. القاهرة : دار السلام.*

*الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (1413هـ). معجم محدثي الذهبي .بيروت : دار الكتب العلمية .*

*الذهبي , محمد السيد حسين (دون سنة) . التفسير والمفسرون .القاهرة : مكتبة وهبة .*

*الرومي ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (1407هـ). اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. السعودية : إدارات*

البحوث العلمية والدعوة والإرشاد .

زرزور ، عدنان محمد (1419هـ) .مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه .بيروت : دار القلم . دمشق : دار الشامية .

الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل أبو سهل (1408هـ) .معاني القرآن وإعرابه. المحقق عبد الجليل عبده شلبي . بيروت : عالم الكتب.

الزرقاني ، محمد عبد العظيم (1415هـ) . مناهل العرفان في علوم القرآن .بيروت : دار الكتاب العربي .

الزمخشري ،أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد( 1407هـ).الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت : دار الكتاب العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة.

السلمي ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم (1421هـ) . تفسير السلمي (حقائق التفسير ). بيروت: دار الكتب العلمية.

السمرقندي ( دون سنة) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم . بحر العلوم ( تفسير السمرقندي ) .

الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان (2001م). الأم .تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب . المنصورة : دار الوفاء .

الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان (1427هـ) . تفسير الإمام الشافعي. جمع وتحقيق د. أحمد بن مصطفى الفران. السعودية : دار التدمرية .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (1414هـ). فتح القدير. بيروت: دار الكلم الطيب.

الصابوني ، محمد علي (1405هـ). التبيان في علوم القرآن .بيروت : عالم الكتب.

الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي أبو القاسم (1415هـ). المعجم الكبير .المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي .القاهرة : مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير بن نزيد (2000م).جامع البيان في تأويل آي القرآن. مصر: مؤسسة الرسالة.

العدوي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (1414هـ) . حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب. تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي . بيروت : دار الفكر.

الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (1420هـ) مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفراء ، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبدالله بن نظور الديلمي (دون سنة) . المحقق محمد علي النجار وآخرون .مصر :

*الدار المصرية للتأليف والترجمة .*

*الفيومي ،أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (دون سنة) . المصباح المنير . بيروت : المكتبة العلمية .*

*القاسم بن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (1415هـ) فضائل القرآن . تحقيق مروان العطية وآخرون . دمشق وبيروت : دار ابن كثير*

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (1384هـ). *الجامع لأحكام القرآن*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ( دون سنة). لطائف الإشارات ( تفسير القشيري). تحقيق إبراهيم البسيوني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي (دون سنة) . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . بيروت :مؤسسة الرسالة .*

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (1334هـ) *صحيح مسلم*. بيروت : دار الجيل.

*مكي بن أبي طالب ( 1429هـ ) أبو محمد حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني . الهداية إلى بلوغ النهاية . مجموعة بحوث الكتاب والسنة . الشارقة .*

*الماتريدي ، محمد* بن محمد بن محمود أبو منصور ( 1426هـ). تفسير الماتريدي ( تأويلات أهل السنة).المحقق د. مجدي با سلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.

الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن محمد (دون سنة) *تفسير الماوردي (النكت و العيون)*.لبنان: دار الكتب العلمية.

*النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (1421هـ).السنن الكبرى .حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي .بيروت: مؤسسة الرسالة.*

النيسابوري، محمد بن أبي الحسن بن الحسين أبو القاسم نجم الدين (1415هـ). إيجاز البيان عن معاني القرآن. المحقق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي . بيروت : دار الغرب الإسلامي

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1430هـ). *التفسير البسيط*. السعودية: عمادة البحث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.